النوى: البعد (نوى)، باب النون فصل الواو والألف المقصورة، الوجيز ص 641.

ذخري: الجمع والحفظ لوقت الحاجة إليه (خذر)، باب الذال فصل الخاء والراء، الوجيز ص 243 .

أدبرت: أعرضت وذهبت (دبر)، باب الدال فصل الباء والراء، الوجيز ص 220.

بود: (ود) أحبه بحب (ود – ودد)، باب الواو فصل الدال والدال، الوجيز ص 663

يترى: من التواتر واحد تلو الآخر (وتر)، باب الواو فصل التاء والراء، الوجيز ص 659.

أمد: الغاية والنهاية (أمد)، باب الهمزة فصل الميم والدال، الوجيز ص 24.

ثووا: أقاموا واستقروا (ثوى)، باب الثاء فصل الواو والألف المقصورة، الوجيز ص 89.

الصنو: المثيل والنظير (صنو)، باب الصاد فصل النون والواو، الوجيز ص 372.

الأود: العطف والانحناء (أود)، باب الهمزة فصل الواو والدال، الوجيز ص 29.

المراجع

÷1. مجموعة مؤلفين، (2007). الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة منشورات زكي بو زيد، الجزائر.

÷2. الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي، (1991). تعريف الخلف برجال السلف، تقديـم أ.د محمد رؤوف القاسمي الحسني، الأنيس، سلسلة العلوم الإنسانية.

÷3. محمد صالح الجابري، (2007). التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة –الجزائر.

÷4. مجموعة مؤلفين، (2004)، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية – القاهرة.

موقف محمد بن عبدالكريم الخطابي وعلال الفاسي من مباحثات إيكس ليبان (غشت 1955)

أ. د. زكي مبارك
أستاذ باحث–المغرب

ملخص

في صيف عام 1955، جرت مفاوضات تعتبر تاريخية بين السلطات الفرنسية في إكس ليبان (باريس) وبعض أطراف الحركة الوطنية في المغرب الأقصى ، أدت نتائجها إلى إسترجاع المغرب الأقصى لإستقلاله وعودة الملك محمد الخامس إلى العرش. وقد أثارت نتائج هذه المفاوضات معارضة شخصيات فاعلة في الحركة الوطنية المغربية، داخل المغرب وخارجه وفي مقدمتها الزعيمان الكبيران الأمير عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف وعلال الفاسي رئيس حزب الاستقلال. مع العلم أن هذا الأخير كان طرفا في هذه المفاوضات.

إن هذه الدراسة هي محاولة لإظهارموقف الأميرعبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي من هذه المفاوضات وأسباب معارضتهما لها .

الكلمات الدالة : مباحثات إيكس ليبان، الكفاح، الاستقلال، التبعية.

1. مباحثات إيكس ليبان: دواعي الانعقاد

شكلت مباحثات إيكس ليبان [1] محطة بالغة الأهمية في تاريخ كفاح الشعب المغربي لاسترجاع حريته واستقلال بلاده. فهذه المباحثات، في رأي بعض القادة السياسيين، ومن الذين شاركوا فيها، أو تتبعوا أطوارها من بعيد، لم تكن في واقع الأمر سوى مجرد مصيدة أو فخ سياسي سقطت فيه قيادات وطنية عن حسن نية، أو حسب تحليلات خاطئة ومتسرعة، فكان من نتائجها الملموسة إجهاض الثورة المغربية وهي في طور المخاض والتبلور، وحصول المغرب على استقلال أطلقت عليه عدة أطراف سياسية ووطنية أو صافا ونعوتا من بينها: استقلال زائف، وممنوح، وشكلي، ومنقوص، إلى غير ذلك من النعوت والأوصاف[2]

أما دواعي انعقاد هذه المباحثات فتعود أسبابها الجوهرية إلى نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953م، وإصراره على عدم التنازل عن شرعيته في الملك، والتمسك

1 – حول هذه المباحثات نشرت "ملفات من تاريخ المغرب» في عددها الأول والثاني لسنة 1996، محاضر الجلسات بكاملها باللغة الفرنسية.

2 – قدم المهدي بن بركة تحليلا ونقدا جريئا لمباحثات إيكس ليبان في كتابه "الاختبار الثوري» صفحة 30 و 31.

بها. كما ترتبط كذلك أساسا بانطلاق "ثورة الملك والشعب" التي جعلت من عودة الملك المنفي إلى عرشه واستقلال المغرب شروطا أساسية تمحور حولها النضال التحرري المغربي، عبرت عنه الفئات الشعبية بالشعارات التالية : "ابن يوسف إلى عرشه، والشعب يموت عليه! ابن يوسف إجي غدا، والاستقلال ولا بدا!".

إضافة إلى هذه العوامل الداخلية لا يجب إغفال موقف الفرنسيين الأحرار في كل من المغرب وفرنسا الذين أسسوا جمعيات، ومنتديات فكرية، ومنابر إعلامية لتنوير الرأي العام الفرنسي بحقيقة ما يجري في المغرب، مطالبين بضرورة إيجاد حلول للأزمة المغربية-الفرنسية. كما لا يجب إغفال موقف الحكومة الإسبانية من نفي الملك الشرعي بدون مشاورتها، ولا الأخذ برأيها في الموضوع كما تقتضيه روح الإتفاقيات المبرمة بين الدولتين الاستعماريتين اللتان تتقاسمان احتلال المغرب[3]. وأخيرا لا يجب كذلك إغفال ما حظيت به القضية المغربية من تأييد ومساندة في المحافل العربية والإسلامية والدولية. إلا أن ما عجل بعقد مباحثات إيكس ليبان ودفع بالسلطات الاستعمارية في كل من باريس والرباط إلى البحث عن مخرج للأزمة المغربية الفرنسية قبل أن تستفحل، نشاط حركات المقاومة المسلحة التي صعدت من عملياتها في الحواضر والبوادي، وأخذت تهدد الوجود الفرنسي بكل أشكاله، كما أخذت تهدد أعوان الاستعمار وعملائه من المغاربة ومن مختلف المستويات...وأخيرا لا بد من ذكر إندلاع جيش التحرير الجزائري في الفاتح من نوفمبر 1954 وعلم الفرنسيين بالتعاون والتنسيق بين حركة التحرير المغربية والجزائرية، والاستعدادات والتحضيرات لاندلاع جيش التحرير المغربي في الريف، ودور عبدالكريم الخطابي في هذا المجال.

وعت القيادات العسكرية والسياسية في كل من المغرب وفرنسا كل الوعي بخطورة ما يشكله التحول الذي طرأ في أسلوب ومستوى حركة التحرر المغربية، كما أدركت كل الإدراك الأبعاد العميقة لهذا التحول وما يشكله من تهديد قوي على مستقبل الوجود الفرنسي بكل أشكاله، فبادرت الحكومة الفرنسية إلى فتح حوار مع الملك المنفي على أساس أنه أصبح معادلة قوية وصاحب الحل والعقد في هذه الأزمة. كما فتحت مباحثات مع كل الأطراف الممثلة للرأي العام المغربي وذلك في مدينة Aix-Les-Bains من 22 غشت إلى 28 غشت 1955، شارك في هذه المباحثات سبع وثلاثون(37) شخصية من مغاربة وفرنسيين ويهود ذات الصلة بالأزمة المغربية-الفرنسية مثل الجانب الوطني في هذه المباحثات عن حزب

3 - حول هذا الموضوع، الرجوع الى كتاب : محمد ابن عزوز حكيم، موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953، الجزء الأول - تجديد بيعة الشمال للملك محمد الخامس- مطابع الشويخ/ تطوان -1994 - 168 صفحة.

الاستقلال السادة: عبدالرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، عمر بن عبدالجليل، محمد اليزيدي. وعن حزب الشورى والاستقلال: عبدالهادي بوطالب، عبدالقادر بن جلون، احمد بن سودة، محمد الشرقاوي.

وقد حرصت السلطات الحكومية الفرنسية على عدم دعوة لهذه المباحثات زعماء الأحزاب الوطنية البارزين: علال الفاسي، حسن الوزاني، احمد بلافريج. كما حرصت على عدم دعوة ممثلي حركات المقاومة المسلحة باعتبارهم إرهابيين ومتطرفين وقادة يتلقون الدعم من جهات خارجية معادية لفرنسا وللعالم الحر.

تمخضت هذه المباحثات على استخلاص مجموعة من الأفكار والرؤى تمت صياغتها في مقترحات شكلت أرضية لتسوية الأزمة المغربية-الفرنسية، وتحكمت في بلورتها والتوافق حولها حسابات سياسية واعتبارات ذاتية أخذت بعين الاعتبار تطور الكفاح المسلح في كل من المغرب والجزائر، وموقف إسبانيا، وقضية العرش والأسرة العلوية الحاكمة والتي أضحت تشكل المحور والجوهر في هذا الصراع. فعلى هذه الاعتبارات وأساسها تقدمت الحكومة الفرنسية بخطة طريق من النقاط الآتية:

- تنحية السلطان ابن عرفة عن العرش
- تأليف مجلس وصاية على العرش لسد الفراغ
- إبلاغ السلطان محمد الخامس بمضمون هذه الخطة لمباركتها والإعلان رسميا عن هذه المباركة.
- عودة محمد الخامس إلى فرنسا مع التزامه المطلق بعدم ممارسة أي نشاط سياسي.

طبيعي أن تحدث هذه الخطة خلافات داخل الصف الوطني، وحول هذه الخلافات يقول عبدالله ابراهيم: «وأخطر ما حدث هو أن بعض المتحدثين باسم المغرب المناضل لم يقفوا موقف القوي المؤمن بطاقات الجماهير المتفجرة وراءه، بل وقفوا موقف السياسي بالمعنى السياسي للكلمة، موقف من يحاول أن يقسم الخوخة شطرين[4]

2 - الخطابي ومباحثات إيكس ليبان

من القاهرة ظل الخطابي يتابع بكل اهتمام مباحثات ليبان والمفاوضات التي يجريها الملك محمد الخامس مع الحكومة الفرنسية لتسوية الأزمة المغربية الفرنسية. وما

4 - عبدالله ابراهيم - أوراق من ساحة النضال- دار الكتاب - الدار البيضاء - الطبعة الأولى / 1975 - صفحة 244.

أن أخذت تلوح نتائجها وملابستها السياسية حتى حدد الخطابي موقفه منها في بلاغات صحفية واستجوابات إذاعية تناقلتها كبريات الصحف العربية والدولية. فبخصوص مائدة إيكس ليبان قال الخطابي:«...إن الشعب المغربي ليس في نيته أن يحارب مرة أخرى ليخلق هندا صينية جديدة في شمال إفريقيا. وقد اقتدت جماعة «الرباط» بجماعة تونس المستسلمة فأبرمت اتفاق إيكس ليبان إلى حيز العمل والتنفيذ، وأخذت تدلس وتغري عرب المغرب بالكلام المعسول وهي سائرة في نفس طريق اتفاق تونس، وستطالب المناضلين بإلقاء السلاح بعدما طلبت منهم الهدوء بحجة أن المفاوضة لا تكون إلا في هدوء، والهدوء لا يكون إلا بإلقاء السلاح وتسليمه لهذه الجماعة (الرباطية) الجالسة على عرشها حين يتفرغ الأعداء للقضاء على الجزائر، فحذار من السقوط في الفخ المنصوب، وإننا على يقين من أن الشعب سوف يستمر في الكفاح والنضال إلى أن يخرج من المغرب العربي كله آخر جندي فرنسي يحمل السلاح من جماعة المستعمرين[5].

لقد اعتبر الخطابي أن مباحثات إيكس ليبان أجهضت الثورة التحررية المغربية وهي في طور المخاض. ولهذا ظل ناقما على أولئك الذين أجهضوا هذه الثورة في وقت كان الفرنسيون في أشد حاجة للراحة وللتفرغ للجزائر الشقيقة، فلو صمدوا، يقول الخطابي: «وتركوا الثورة قائمة لجلى الفرنسيون عن إفريقيا كافة، ولما تمكنوا من هذه الفرصة التي ساعدوا فيها من طرف خفي بإطلاق أيديهم على الإخوان في الجزائر[6]

هذه التصريحات والبيانات لم تكن لترضي الزعماء والحكام في كل من تونس والمغرب، فتوترت العلاقات بين الخطابي إلى درجة القطيعة. خلال هذه المرحلة سعى إلى توطيد صلاته بالزعماء الجزائريين والتونسيين المناوئين لسياسة بورقيبة، وبالمغاربة الذين يتواجدون بالقاهرة أو منهم في طريقهم إلى الديار الحجازية أو المشرقية، ويحرصون على زيارته، وخصوصا منهم رجالات قبائل الريف الذين ظلوا أوفياء للخطابي ولجهاده، والذين ساهموا مساهمة فعلية في جيش تحرير المغرب العربي اقتناعا منهم كل الاقتناع أن معركة هذا الجيش ما هي إلا امتداد للثورة الريفية برصيدها التاريخي وبأهدافها التحررية، وبمواجهاتها للاحتلال الفرنسي والاسباني على حد سواء.

ويواصل الخطابي نضاله ضد الوجود الفرنسي والاسباني في مغرب الاستقلال من خلال ما يقوم به من نشاط سياسي وإعلامي، وبما يصدره من بيانات وتصريحات

5 - نص البيان أورده" الطاهر عبدالله، في كتابه: الحركة الوطنية التونسية مطبعة الجماهير، بيروت، -1967 صفحة 138-137.

6 - محمد الأممي- عند البطل محمد بن عبدالكريم الخطابي / مجلة أمل المغربية - عدد 8 - الطبعة الثانية - 1999 ص 157.

صحفية يعبر فيها عن مواقفه، مطالبا الشعبين المغربي والتونسي بمواصلة الجهاد ضد الجيوش الفرنسية الاحتلالية المتواجدة في البلدين، ومحذرا المغاربة من السياسة الإسبانية التي تتظاهر بتعاطفها مع الشعوب العربية وهي لا تسعى في واقع الأمر سوى للحفاظ على مصالحها في المغرب، وفي ذات الوقت تنسق مواقفها وخططها الاستعمارية مع السلطات الفرنسية. حول هذا الموضوع صرح الخطابي: "... نصيحتي هي الكفاح المسلح لإجلاء القوات الأجنبية وكل من يتهاون أو يتماطل في هذا الكفاح يكون خائنا لقضية حريتنا واستقلال وطننا الذي لا نرضى له عار الاحتلال والتحكم والاستغلال[7]..."

وفي بيان آخر، يدعو الشعب المغربي إلى مواصلة الجهاد لأنه لا سلام ولا مهادنة مع الغاصبين، ومما جاء في البيان :"...أبنائي وإخواني لا حرية للمغرب إلا بالكفاح والسلاح وإخوانكم في تونس قد حملوا السلاح من جديد يرهبون به أعداء الحرية، وهؤلاء شركاؤنا وإخواننا في المحنة، وأهل الجزائر لا يزالون في الميدان مناضلين صابرين حذرين من الخدع، متيقظين للألاعيب، وإنهم ليجدوا في قلوب العرب عطفا، ومن بني الإنسان تأييدا، ومن الله قبل كل شيء عونا وقوة ونصرا مبينا[8]

ويواصل الخطابي نضاله بمخاطبة قادة الحركة الوطنية المغربية وشخصيات سياسية ووزراء في الحكومة المغربية يعظ، وينبه، ويوجه النصح والتحذيرات" ففي رسالة بعث بها بتاريخ 30 مارس 1956، أي بعد توقيع اتفاقيات الاستقلال بأسابيع قليلة، إلى الكولونيل امبارك البكاي أول رئيس لحكومة وطنية في مغرب ما بعد الحماية جاء فيها:"...كان عليكم أن تثوروا على الخونة وتنظموا إلى المجاهدين المغاربة والجزائريين والتونسيين كما يقضي بذلك الشرف العسكري والكرامة وحرمة الرجولة السليمة من الشذوذ (...) إن المغرب أغرقه الخونة في الاحتلال وكأن الزمن لم يبتعد عن مؤامرة الجزيرة الخضراء سنة 1906" [9]

3. موقف علال الفاسي من مباحثات إيكس ليبان

كان علال الفاسي يتابع بدوره من القاهرة مباحثات إيكس ليبان التي يجريها ويشارك فيها باسم حزب الاستقلال السادة عبدالرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، محمد اليزيدي، عمر بن عبدالجليل. بينما كان يتابعها من مدينة لوزان السويسرية الأمين العام للحزب السيد احمد بلافريج. تحكمت في موقف علال الفاسي

7 - محمد سلام أمزيان- صورة الجلاء في شمال المغرب- دراسة مرقونة- ص 134-132.

8 - محمد سلام أمزيان : نفس المصدر ص 134.

9 - محمد سلام أمزيان - نفس المصدر ص 120.

من هذه المباحثات عدة اعتبارات سياسية حاول التوفيق بينها. موقف الخطابي الصريح المعارض لهذه المباحثات، وموقف حزب الاستقلال المشارك فيها بدون مشاورة زعيم الحزب ولا الأخذ برأيه، والاستعدادات لانطلاق جيش التحرير المغربي بتعاون وتنسيق مع قيادات جيش التحرير الجزائري. لقد أدلى علال الفاسي بتصريح يعارض فيه مباحثات إيكس ليبان إلا أن قيادة الحزب سرعان ما أوفدت إلى القاهرة أعضاء من اللجنة التنفيذية على رأسهم محمد اليزيدي لإقناع الزعيم بالكف عن مثل هذه التصريحات.

غير أنه واصل في صمت نشاطه السياسي مع قادة جيش التحرير الجزائري من أجل اندلاع جيش التحرير المغربي في أكتوبر 1955. إزدواجية موقف علال الفاسي أملته عليه مواقف حزبه من العمل المسلح من جهة، والتزاماته مع قادة الثورة الجزائرية، ومواقف الخطابي من جهة أخرى حيث التنافس على أشده بين الرجلين اللذين ساءت العلاقات بينهما إلى درجة القطيعة.

إلا أن بعض الوثائق التي ظهرت مؤخرا تلقي أضواء جديدة حول موقف علال الفاسي من مباحثات إيكس ليبان. من بين هذه الوثائق الجديدة، الرسالة التي وجهها الزعيم بتاريخ 24 شتنبر 1955، أي أقل من شهر بعد هذه المباحثات إلى الجنرال G.VALINO مندوب إسبانيا السامي في المنطقة الخليفية جاء في هذه الرسالة:

جنرالي العزيز:

تشرفت باستلام رسالة مجادتكم الخاصة لي، وهي التي أبيتم إلا أن تعطوا فيها شاهدا آخر على اهتمامكم بقضية بلادي وإنجاح مسعاها، فاشكر لكم عنايتكم وتقديركم جهدي وثباتي في الإخلاص لجلالة ملكنا الذي هو رمز السيادة القومية للمغرب.

أما فيما يتعلق بالإخوان الذين ذهبوا الى إيكس ليبان فإنهم لم يتأخروا قط عن الإعراب لي مشافهة حينما زاروا القاهرة أخيرا- وكذلك كتابة- عن تأييدهم لموقفي ومصادقتهم على جميع ما قمت به في هاتين السنتين من جهود لتمتين علاقة المغرب وإسبانيا على أساس من الود والتعاون المثمر للبلدين.

ولقد كانت (استشارات ايكس ليبان) مرتجلة اضطر (الإخوان) إليها لأنهم يرون من المصلحة الاستمرار في الإقامة داخل المنطقة السلطانية خدمة للقضية من الداخل وقد أعربوا في محادثاتهم عن تمسكهم بالمبدأين - رجوع السلطان وإعلان الاستقلال ولكنهم أعربوا عن استعدادهم لعدم معارضة أية خطوة تخطوها فرنسا في طريق هذين الهدفين إذا قبلها جلالة الملك علنا

وهو مقيم بفرنسا في حالة حرية نسبية وكان مفهوما منها أنها مؤقتة، كما أنهم رفضوا البث في الإعراب عن وجهة نظرهم إزاء أي موضوع آخر قبل عودة السلطان لفرنسا.

ولست أذيع سرا إذا قلت إنني شخصيا رفضت الانتقال (لسويسرا) كي أشارك في هذه المحادثات ولو من بعيد لأنني اعتقدت أن فرنسا لا ترمي من ورائها إلا إلى تغطية ما تقوم به من قمع شديد في (وادي زم) و (خنيفرة) وغيرهما من المراكز التي كانت محط أعمال الإبادة الفرنسية، ولذلك رأى الإخوان من المناسب عقد اجتماع في (روما) لدراسة المسائل القائمة وتقريب وجهة نظرهم معي، ولكنني رفضت الحضور لأنني غير موافق على القبول المبدئي لمجلس الوصاية عل الطريقة التي يريدها الفرنسيون وهكذا لم يتم في الواقع (اجتماع روما) ولم تدرس كل القضايا التي كانت في جدول أعماله بل تعجل الحاضرون مني الاجتماع مكتفين ببلاغ رأوا من الضروري إصداره متناولين فيه فقط (مجلس العرش) و (الحكومة) التي يمكن ان يشاركوا فيها.

وهكذا ترون مجادتكم أنه لم يكن هناك محل لمفاوضات ولا لاتفاقيات تتعلق بصميم القضية المغربية وإنما هي تمهيدات لتكوين حكومة مغربية محض على نفس الطريقة التي كونتموها سعادتكم في (الحكومة الخليفية).

وهكذا يمكن لسيادتكم أن تعرفوا الجو الذي ساد هذه الاستشارات وقد اتفقت مع وفد الحزب الذي زارني (بمصر) على عدم البث في أي شي قبل اجتماع موسع لقادة الحركة لتقليب قضية المغرب من جميع وجوهها.

وإنني متفق مع سيادتكم على أن إهمال (المنطقة الخليفية) والموقف الإسباني الحاضر والمستقبل لا يخدم إلا فرنسا لأنه يتركها مطلقة اليد فيما تريده من تفرقة للبلاد وتلاعب بمصيرها، وان قادة الاستقلال من يعرف ذلك، لأنهم لا تسيرهم إلا مصلحة البلاد العليا.

أما أنا فثقوا يا صديقي العزيز إني مستعد للعمل على إنجاز سائر التصحيحات اللازمة. وتفضلوا سيادتكم بقبول تحياتي واحترامي.[10]

محمد علال الفاسي

وهناك كذلك وثيقة تاريخية مهمة لها صلة بموقف علال الفاسي من مباحثات إيكس ليبان لم تنشر إلى حد الساعة. الوثيقة عبارة عن رسالة وجهها الدكتور المهدي بن عبود من نيويورك إلى الزعيم علال الفاسي بتاريخ 19 أكتوبر 1955، أي بعد انطلاقة جيش التحرير يوم 2 أكتوبر 1955. ومما جاء في هذه الرسالة بخصوص

10 - أنظر نص الرسالة بكامله في: رسائل تشهد على التاريخ- الجزء الأول/ منشورات مؤسسة علال الفاسي- تقديم وتنسيق شيبة ماء العينين - مطبعة الرسالة- طبعة ثانية منقحة- غشت 2006/ صفحة 199-197.

مواقف علال الفاسي:

زعيمنا المحبوب وصديقي العزيز علال:
سلاما وأشواقا، وبعد أريد أن أقول لك قبل كل شيء أنني من بين أولائك الذين يفتخرون بشباتك في المبدأ الاستقلالي. كنت اتحدث مع بعض الأصدقاء الذين يظنون ان الظروف ترغم على الانحياد عن المبدإ وقلب حركة استقلالية إلى حركة إصلاحية (Réformiste). وما هذا ألا ضعف الإيمان في نظري. إن الدبلوماسية عبارة عن مساومة في الوسائل وبعض المصالح لا في المبادئ. فإن كانت الطرق شتى فالحق واحد فأرجو الله تعالى أن يديم لك النجاح ويحفظك في ما اختار لك من هداية ورشاد.
اطلعت على سائر الأشياء التي جعلتك تثور على المبتعدين على المبدأ. فهمت بل وجددت النظر في شيء قام عليه البرهان، منذ قديم وهو أن الاستقلال هو المرحلة الأولى في كل إصلاح رشيد وأن سياسة المراحل ماهي إلا عبارة عن دوام رقابة الأجنبي واستمرار سيادته تحت أشكال وصور جديدة ثم من ناحية أخرى أن السياسة مساومة فإن طلبت مائة في المائة وألححت في حقك بأكمله لابد من أن تربح ربح الصابر أعني زيادة من المحن وارتفاع ثمن التضحية وأخيرا الحصول على المتبقى خصوصا وأن السوق العالمية-أعني الظروف السياسية المحيطة-هي اليوم تميل الكفة إلى جانبنا رغم المظاهر. إن الذين يرخصون الثمن في المساومة لا يتكلمون إلا كلام المستضعفين ذوي الآفاق المحدودة وراء شباك السجن-فمن هذه الناحية لهم العذر ولكننا لا ينبغي أن نعتمد عليهم. [11]
موقف علال الفاسي من مباحثات إيكس ليبان تناولها في المحاضرة التي ألقاها بمدينة الدار البيضاء في نوفمبر (1970).ومما جاء فيها بخصوص هذا الموضوع:

وحين أيقنت فرنسا أنها مضطرة للاعتراف بالاستقلال أرادت أن تلعب أدوارا من شانها أن تفسد علينا ثورتنا وتتيح لها فرصة الإبقاء على نوع من الهيمنة المعنوية تحمي به في نظرها استعمارها الاقتصادي. لقد أطلقت إخواننا من السجن وواصلت اتصالها بالآخرين الذين كانوا في فرنسا. وخلقت جموعا من المخلصين الذين يرغبون أن يكونوا وسطاء خير من مغاربة وفرنسيين. وكل هؤلاء لا يعرفون شيئا عن المقاومة وأجهزتها وعن المجلس الوطني للمقاومة . فكان المنطق يقضي عليهم أن يردوا الأمر إلى الذين كانوا في ميدان العمل المباشر. او على الأقل يرفضون كل مذاكرة إلا بعد الاتصال بإخوانهم وبرئيس الحزب.

11 – الرسالة أمدني بها مشكورا الأستاذ شيبة ماء العينين –من أرشيف مؤسسة علال الفاسي.

لو فعلوا ذلك ما وقعوا في مصيدة إيكس ليبان. وفي الرحلات المنظمة لانسترابي. أنا اعرف ماذا كان يحاك من الرسل الخاصة من الفرنسيين الذين كانوا يوجهون إلى انسترابي. وأعرف حسن نية إخواننا الذين كانوا يعتقدون أن عملهم ليس إلا مواصلة لكفاحهم السياسي. ولكن الإرهاب الداخلي الذي كانوا فيه ما كان يسمح لهم مع شجاعتهم وبطولتهم وإيمانهم أن يطلعوا على الغيب ويعرفون القوة التي كانت من ورائهم : قوة المقاومة وقوة جيش التحرير المغربي الجزائري الذي لم يكن قد دخل للعمل بعد .

ولو عرفوا ذلك لما بالوا بموائد ايكس ليبيان الصغيرة ومن حولها . ولتركوا الجهاز الاستعماري الفرنسي يلعب وحده مع من لا ينتظر أن يتحملوا مسؤولية المصير المغربي.

ولكن هذا لم يقع. وفي إيكس ليبيان صنع الفرنسيون التناقضات التي ظهرت في الحكومة الأولى للاستقلال[12].

وبما أننا في تطوان، لابأس من إيراد وجهة نظر أحد وطنيي هذه المنطقة، الأستاذ محمد العربي الخطابي: «...أما الوطنيون المغاربة الذين شاركوا في محادثات إيكس ليبان، فقد أسرفوا-على ما يظهر-في التفاؤل حتى أن كثيرأ من عناصر الرأي العام المغربي قد اتهمتهم بالتساهل والخذلان وعدم اتحاد الكلمة، وترى تلك العناصر أن مهمة هؤلاء الوطنيين كان ينبغي أن تنحصر في عرض وجهة النظر المغربية كما هي دون أن يضعوا لها حدا أدنى قد لا يتفق مع أماني البلاد، ودون أن يدخلوا مع الحكومة في مناقشة التفاصيل بدعوى "تقريب وجهات النظر"، فمن المعلوم أن مطالب الشعب المغربي تنحصر في : حل مشكلة العرش حلا يفسح الطريق أمام رجوع الملك الشرعي إلى عرشه، والاعتراف الصريح باستقلال المغرب استقلالا تاما لا بتقيد بشرط أو قيد. وحينما تبدى الحكومة الفرنسية استعدادها لقبول ذلك ندخل معها إذاك في مسألة التفاصيل (كيفية رجوع الملك المبعد، وموعد ذلك، وشكل تطبيق الاستقلال، وتأليف الحكومة التي تتكلف بإنجاز ذلك، والمدة التي يجب أن تحدد لانتقال المغرب نهائيا من طور إلى طور..»[13]

4. مباحثات إيكس ليبيان : التداعيات

لتنفيذ خطة طريق مباحثات إيكس ليبان عينت الحكومة الفرنسية يوم 29 غشت 1955 الجنرال "بوايي دولاتور" (Boyer De Latour) مقيما عاما في الرباط.

12 – علال الفاسي:الديموقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها- منشورات مؤسسة علال الفاسي- إعداد عبدالرحمن بن العربي الحريشي- مطبعة الرسالة – الرباط –1990 صفحة 58-56.

13 – محمد العربي الخطابي- محادثات إيكس ليبان – السيادة والاستقلال هما صلب المشكلة المغربية – مجلة المعرفة – تطوان- العدد -111 شتنبر –1955 صفحة 109-108.

كما وجهت الحكومة الفرنسية الجنرال كاترو (Catroux) لإبلاغ السلطان محمد الخامس بمضمون هذه الخطة والموافقة عليها كما نصت على ذلك إحدى النقاط المنصوص عليها في الخطة . وفي نفس الوقت توجه لمقابلة السلطان المنفي شخصيات مغربية وطنية، ورجالات من المخزن الذين تربطهم بالعاهل المغربي صداقات خاصة أمثال باشا صفرو الكولونيل مبارك البكاي والفاطمي بن سليمان باشا مدينة فاس –خلال كل هذه اللقاءات اختلفت المواقف في شأن خريطة الطريق التي أعدتها الحكومة الفرنسية، ومن المواقف الثابتة التي أحرجت الحكومة الفرنسية موقف السلطان الذي أفهم الحكومة الفرنسية بأنه لن يتنازل على حقوقه الشرعية في الملك إلا إذا قرر الشعب المغربي ذلك. كما أن الجنرال بوايي دولاتور، المقيم العام الفرنسي الجديد، إنحاز إلى جهة المعارضين لخطة الطريق، ولكل تسوية للقضية المغربية لا تأخذ بعين الاعتبار المصالح الحيوية للمستعمرين الفرنسيين، ولرجال المال والأعمال والإعلام الذين يشكلون داخل المجتمع المغربي لوبيات قوية لها إرتباطات بالدوائر الحكومية والبرلمانية في فرنسا.

أمام هذه التباينات في المواقف، والمحاولة للتوفيق بينها، لجأت الحكومة الفرنسية إلى فكرة سياسية ربطت اعترافها باستقلال المغرب بضرورة بقاء المغرب مرتبطا بفرنسا في مجالات الاقتصاد والجيش والدبلوماسية، فاستعملت لبلورة هذه الفكرة وهذا الارتباط كلمة التبعية المشتركة أو الاستقلال في إطار التبعية المشتركة، أو الاستقلال في إطار التبعية L'indépendance dans l'interdépendance.

وبينما تجري الترتيبات والخطوات لتطبيق ورقة طريق مباحثات إيكس ليبان، تندلع يوم 2 أكتوبر 1955 عمليات جيش التحرير المغربي التي تركزت واستهدفت المراكز والثكنات العسكرية الفرنسية المحادية للمنطقة الخليفية الخاضعة للنفوذ الاسباني، وكذلك المتواجدة بقلب الأطلس المتوسط . وفي يوم 3 أكتوبر 1955 يعلن جيش التحرير المغربي والمقاومة المغربية في بيان أول موقفهما من مباحثات إيكس ليبيان، ومن المفاوضات المغربية الفرنسية، ومن العناصر الوطنية التي تشارك في هذه المفاوضات. ومما جاء في هذا البيان الذي يحدد أهداف التحرير.

1. الكفاح حتى النهاية في سبيل الاستقلال التام لأقطار المغرب العربي مع عودة محمد الخامس إلى عرشه بالرباط
2. عدم التقيد بأي اتفاقات عقدت أو تعقد مسبقا لا تحقق الهدف الأول كاملا.
3. اعتبار كل مواطن ينادي بخلاف ما ذكر خارجا على ما أجمعت عليه البلاد والحركات الوطنية الفدائية، ومثل هؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم وكفى ما

قاسته البلاد من مفاسدهم[14].

اندلاع جيش التحرير المغربي، وإصدار بلاغه الأول الذي حدد فيه بكل وضوح أهدافه ومواقفه من مباحثات إيكس ليبان، ومن المفاوضات والتحركات التي تجريها الحكومة الفرنسية من أجل إقناع المغاربة بالاستقلال الذي تريد منحه، معادلات سياسية قلبت كل الموازين وأحبطت كل المناورات بما فيها خطة طريق إيكس ليبان...إن دخول جيش التحرير المغربي المعركة التحريرية بتعاون وتنسيق مع جيش التحرير الجزائري وارتباط الجيشين بقوات معنوية تتجلى في مساندة ودعم الخطابي، وبقوة مادية بدعم من الثورة المصرية والدول العربية والإسلامية والمعادية للاستعمار، أرغم السلطات العسكرية والسياسية الفرنسية على الدخول في مفاوضات مباشرة وشخصية مع السلطان محمد الخامس من أجل إيجاد حلول مرضية للأزمة المغربية-الفرنسية.

وفي هذا الصدد كتب عبد الله ابراهيم "....يبدو بجلاء أن شبح محمد بن عبد الكريم الخطابي-على بعد المسافة في الزمن-كان حاضرا حضورا فعالا وحاسما في العلاقات المغربية-الفرنسية، ساعة المخاض المغربي بالاستقلال، وأن وزن ثورة الريف، في الذاكرة الاستعمارية صار أقوى سياسيا، في سنة 1956 منه في سنة 1925، فعليه لا على محادثات إيكس ليبان اعتمدت الحكومة الفرنسية، وإليه التجأت، لإنذار الرأي العام الفرنسي، وردع اليمين الاستعماري المغامر، من على منبر الجمعية الوطنية الفرنسية"[15].

المراجع

1. ابراهيم عبد الله، (1975): أوراق من ساحة النضال، ط.، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب.
2. ابراهيم عبد الله، (1995): نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
3. الأمي، محمد، (1999): "عند البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي، مجلة أمل المغربية، عدد 8 ، الطبعة الثانية، المغرب.
4. ابن عزوز حكيم محمد، (1994): موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953، ج 1، تجديد بيعة شمال للملك محمد الخامس، مطابع الشويخ / تطوان، المغرب.

14 – نص البيان منشور بكامله في كتاب: نداء القاهرة– للزعيم علال الفاسي– صفحة 93-91 / الطبعة الأولى.

15 – عبدالله إبراهيم– نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد/ مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء/ 1995 – صفحة 114.

÷5. بن بركة المهدي، (د.ت): الاختبار الثوري.

÷6. الخطابي محمد العربي، (1955): "محادثات إيكس - ليبان - السيادة والاستقلال هما صلب المشكلة المغربية، مجلة المعرفة، تطوان، العدد 111، المغرب.

÷7. عبد الله الطاهر، (1967): الحركة الوطنية التونسية، مطبعة الجماهير، بيروت ، لبنان.

÷8. الفاسي علال (1990): الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، منشورات مؤسسة علال الفاسي، إعداد عبد الرحمن بن العربي الحريشي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب.

÷9. الفاسي علال (د.ت): نداء القاهرة، ط، (د.ت.ط.)

÷10. الفاسي، علال، (2006): رسائل تشهد على التاريخ، ج 1، منشورات مؤسسةعلال الفاسي، تقديم و تنسيق شيبة ماء العين، مطبعة الرسالة، ط 2، غشت 2006، المغرب.

÷11. مجلة ملفات من تاريخ المغرب، (1996): العددان 1 و2 ، المغرب.

العمارة الجنائزية النوميدية
ضريح مدغاسن[1] نموذج معماري نوميدي أصيل

د. محمّد العربي عقون
أستاذ محاضر (جامعة منتوري، قسنطينة)

ملخص

تهدف هذه المقالة إلى تقديم موضوع على جانب كبير من الأهمية، لا يزال الغموض يلقي عليه ظلاله، ويتعلق الأمر بإحدى التحف المعمارية للشمال الأفريقي القديم وبالتحديد ذلك المعلم الفخم الذي هو مدغاسن أو ضريح الملوك النوميد. إنّه معْلم فريد في نوعه، كان ولا يزال علامة فارقة ومتميّزة. والسؤال المطروح يتصل بمعرفة ما إذا كان حقّا أصل لعمارة نوميدية صرفة ؟

إن هذه الورقة تبرز هوية المعلم عبر تتبّع تفاصيله المعمارية، وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- إن المدغاسن هو شكل معماري فريد في نوعه وشكله، وهو تطوّر معماري للبازينا التي تجسّد معتقدات دينية نوميدية.

-إن هذه البيانات تذهب في اتجاه إثبات الهوية النوميدية لهذا المعلم الرمز وتفنيد آراء بعض الباحثين الذين يفتقرون إلى الموضوعية بسبب عملهم تحت تأثير نزعة معادية للهوية الحقيقية للمعْلم.

الكلمات الدالة: ضريح مدغاسن، العمارة النوميدية، التاريخ القديم للشمال الإفريقي، الحفريات.

مقدمة

هذا الضريح الملكي كما هو معروف يقع في المنطقة الأوراسية في الشرق الجزائري،

---

1 - وقع اختلاف في رسم اسم مدغاسن فقد كتبه الكولونيل برينون بهذا الشكل : Medras'en ، وكتبه المهندس المعماري بيكر بهذا الرسم Medr'asen وهو الأدقّ فقد جرت العادة أن تكتب الغين راء بعدها فاصلة علوية هكذا : 'R ، أمّا الضابط فوي فقد كتبه هكذا Medrazen وأخيرا اعتمد من جاء بعد هؤلاء الصيغة Medracen .وكان ضبط هذا الاسم محلّ نقاش، واجتهادات بعضها سطحي يفتقر إلى معرفة عميقة باللغة الأمازيغية، فقد كتبت الغين راءً (Medracen) كما نرى من قبل روّاد البحث الأثري الفرنسيين لأنّ الراء في فرنسية باريس تنطَق غيناً، وهذا الرسم قاد بعض المجتهدين إلى الخطأ في المقاربات اللغوية التي أجروها، وكتب بعضهم السين كافا (C) وهذا الخطأ الثاني، كما أنّ بعض المحدثين المهتمّين اعتبروا الاسم صيغة جمع فأضافوا إليه الألف المهموزة (إ) في البداية هكذا : إمدغاسن، وهذا الخطأ الثالث، وكان من المنهجي مقاربة الاسم بأسماء الأعلام النوميدية (مكوسن، غولوسن، ماسنسن) بل وحتى أسماء من الفترة الإسلامية (يغمراسن مؤسّس دولة بني زيان) المماثلة له في صيغة اسم فاعل Participe présent مضافة إليه اللاحقة سين ونون، وعليه نرى أنّ الاسم قد يكون لملك من الأسرة الماسيلية لم تذكره المصادر، والسين في آخر الكلمة في الأمازيغية هو ضمير الغائب المفرد والنون للجمع كما هو معروف، ولهذا يجب الحذر وعدم التسرّع عند إجراء أيّ مقاربة لغوية.